

/صفحة 384/

معجزة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

لحضرة العلامة السيد صدر الدين شرف الدين

صور - لبنان

سألني أحد الفضلاء:

هل للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) معجزة؟ وإذا ثبتت فلماذا لم تذكر في القرآن الكريم؟ ورغم إلى أن أجيبي تحريراً كي يجاوز الجواب إلى قوم يفتبنون بهذه المسألة، القول في المعجزة لا تستوي فيه عجالة، ولا يشبعه ارتجال، وقد كانت ((المعجزة)) وما تزال موضوعاً مختلفاً في فهمه العقول، وتتفاوت بتفسيره الآراء، وتتبادر في طرق تناوله الأبحاث. والمتيقن منه أن المعجزة في الأديان أمر نسبي يتأثر بأبعد التأثير بالزمان والمكان، ويتمثل كل الاتصال بأوضاع المجتمع ومواضعته، وبمستواه الذهني، ودرجته الحضارية، فإذا اتحد جوهره فلا معدي عن اختلاف مظهره وفق هذه الظروف والأقيسة.

ومن هنا كان لابد أن تتخذ معجزة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مظهراً آخر يختلف عن مظاهر معجزات الأنبياء السابقين، لا بد أن تتخذ المظاهر الذي يحمل خصائص أمته، ويمثل ثورتها، ليميزها عن غيرها في طريق التطور والارتقاء.

كان مجتمع موسى - مثلاً - مجتمعاً بدائياً يسيطر عليه السحر، وتفتنه الشعوذة، فكانت آياته (العصا) التي أبطلت السحر والساحر، ولقت الإفك والافك.